الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب
كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران إذا أذنب العبد ذنبا نكت في القلب نكتة سودا
فإن هو نزع وتاب صقل فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران وقال النبي صلى الله عليه
وسلم قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس فطاعة الله تعالى
بمخالفة الشهوات مصقلات للقلوب ومعصيته مسودات له فمن أقبل على المعاصي اسود
قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة ومحى أثرها لم يظلم قلبه ولم ينقص نوره وقد قال
صلى الله عليه وسلم القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس
فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان
ونفاق فمثل الإيمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه مثل القرحة يمدها
القيح والصديد فأي المادتين غلبت حكم له بها وفي رواية ذهبت به وقال تعالى إن الذين
اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون فأخبر تعالى أن جلاء القلب وإبصاره
يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف
باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى **بيان مثال القلب** بالإضافة إلى العلوم خاصة
اعلم أن محل العلم هو القلب أعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع
الأعضاء وهي بالإضافة إلى حقائق المعلومات كالمرآة بالإضافة إلى صور المتلونات كما أن للمتلون
صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل به فكذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة
تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيه وكما أن المرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول
مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور فكذلك هاهنا ثلاثة أمور القلب وحقائق الأشياء وحصول نفس
الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الأشياء والمعلوم
عبارة عن حقائق الأشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما أن القبض مثلا يستدعي
قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا
فكذلك وصول مثال المعلوم إلى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن
العلم حاصلا لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة
ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد نعم القبض عبارة عن حصول
السيف بعينه في اليد والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم يحصل عين النار في
قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثيله بالمرآة أولى لأن عين الإنسان لا
يحصل في المرآة وإنما يحصل مثال مطابق له فكذلك الحصول مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب

يسمى علما وكما أن المرآة لا تنكشف فيه الصورة لخمسة أمور أحدها نقصان صورته كجوهر الحديد
قبل أن يدور ويشكل ويصقل والثاني لخبثه وصداه وكدورته وإن كان تام الشكل والثالث لكونه
معدولا به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة والرابع لحجاب مرسل بين
المرآة والصورة والخامس للجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذي
به شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن يتجلى فيه حقيقة الحق في الأمور
كلها وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة أولها نقصان في ذاته
كقلب الصبي فإنه لا يتجلى له المعلومات لنقصانه والثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم
على وجه القلب من كثرة الشهوات فإن ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه
بقدر ظلمته وتراكمه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لم
يعد إليه أبدا أي حصل في قلبه كدورة لا يزال أثره أبدا إذ غايته أن يتبعه
حسنة يمحوها فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لازداد لا محالة إشراق القلب فلما تقدمت
السيئة سقط فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا
وهذا خسران ونقصان لا حيلة له فليس المرآة التي تدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح
بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق والإقبال على طاعة الله عز وجل والإعراض عن
مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وقال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم **الثالث** أن يكون معدولا به
عن جهة الحقيقة المطلوبة فإن قلب المطيع الصالح وإن كان صافيا فإنه ليس يتضح فيه
جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس يحاذي بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب
الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة
الربوبية والحقائق الخفية الإلهية فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال
وخفايا عيوب النفس إن كان متفكرا فيها أو مصالح المعيشة إن كان متفكرا فيها وإذا كان
تقييد الهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك فيمن صرف
الهم إلى الشهوات الدنيا ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي
الرابع الحجاب فإن المطيع القاهر لشهواته المتجرد للفكر في حقيقة من الحقائق قد
لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبا على سبيل التقليد
والقبول بحسن الظن يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف
ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضا حجاب عظيم حجب به أكثر المتكلمين والمتعصبين

Copyright © King Saud University